**جزيرة العرب قبل حكم الملك عبد العزيز**

لقد كانت البلاد التي تشملها اليوم المملكة العربية السعودية بلاداً متفرقة، مكونة من ممالك صغيرة، ومناطق نفوذ إمبريالية، وقبائل متحاربة يتغير ولاؤها وتتغير حدودها بسرعة، وإن كانت معظم تلك المناطق خاضعة لنفوذ الإمبراطورية العثمانية التي كانت -آنذاك- تبدو قوية رغم أن شمسها كانت تهوي نحو المغيب. ففي شرق الجزيرة العربية كان الأتراك يحكمون الأحساء وبعض المناطق المطلة على الخليج العربي منذ عام 954هـ، ولكن بني خالد تمكنوا من إخراج العثمانيين من المنطقة في عام 1082هـ. ولكون الأحساء ليست بذات الأهمية الكبرى بالنسبة للعثمانيين، فإنهم لم يهتموا باستعادتها. وفي عام 1288هـ استغل العثمانيون استنجاد الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي بهم ضد أخيه سعود فأرسلوا حملة عسكرية إلى الأحساء وبسطوا نفوذهم مجدداً عليها.

وفي الغرب كان الحجاز تابعاً للدولة العثمانية وإن كانت قد أعطت حكامه الهاشميين نوعاً من الاستقلال أو الحكم الذاتي كنوع من الاحترام الذي أرادت الدولة العثمانية أن تظهره للأسرة الهاشمية المنتمية إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فكان الشريف حسين بن علي يحكم مكة المكرمة وما حولها حكماً فعلياً ويتبع الدولة العثمانية تبعية اسمية. وكانت الحجاز من أغنى المناطق التي قامت عليها المملكة العربية السعودية لاحقاً وأكثرها تقدماً لكونها مركزاً دينياً يزوره مئات الآلاف من المسلمين سنوياً جالبين معهم الأموال والبضائع الجديدة، مما يؤدي إلى تنشيط الحركة التجارية. ومنذ أن ظهر تفوق القوات السعودية على قوات الشريف غالب عام 1210هـ شعرت الدولة العثمانية بالخطر الذي يتهدد مصدر شرعيتها المتمثل بكونها الحامي والحاكم للحرمين الشريفين، فسيّرت حملتين عسكريتين من العراق لمهاجمة المناطق التابعة للدولة السعودية الأولى في عامي 1211 و1213هـ، ولكن كلا الحملتين فشلتا في تحقيق أهدافهما. ولما سيطر السعوديون على الحجاز قرر العثمانيون انتزاعه منهم والقضاء عليهم، وأوكلوا المهمة إلى والي مصر محمد علي باشا. فنجحت قوات محمد علي في القضاء على الدولة السعودية الأولى عام 1233هـ وأصبح الحجاز تابعاً لوالي مصر محمد علي باشا. ثم عام حكم الحجاز إلى الأشراف الذين كانوا يحكمون تحت ظل العثمانيين عام 1256هـ بعد معاهدة لندن.

وأما منطقة عسير فقد بسط محمد علي باشا نفوذه عليها بعد أن سيطر على الحجاز ونجد، إلا أن حكمه فيها لم يكن مستقراً بسبب الثورات المتتالية التي قام بها سكان المنطقة. ومع تولي علي بن مجثّل زعامة قبائل عسير عام 1242هـ تمكن أهل عسير من هزيمة قوات محمد علي باشا، واستمر الصراع بين أهل المنطقة والعثمانيين لعقود لاحقة. وبسبب قيام الحرب العالمية الأولى عام 1332هـ اضطرت الدولة العثمانية لسحب قواتها من عسير، فأصبح الأمير حسن بن عائض مستقلاً بإمارة عسير.

ولقد كان الوضع في المخلاف السليماني شبيهاً بعسير حيث حاولت قوات محمد علي باشا السيطرة على المنطقة وقد قوبلت تلك المحاولات بثورات قادها زعماء المنطقة خاصةً بعد هب الشريف حمود أبو مسمار -حاكم أبي عريش- لنجدة زعماء عسير ضد قوات محمد علي. وبعد أن نجح علي بن مجثّل بالسيطرة على عسير استطاع أيضاً أن يمد نفوذه إلى المخلاف السليماني، لكن الفراغ الذي تسببت به وفاته في عام 1249هـ أدى إلى عودة النزاعات على حكم المنطقة، ثم أصبحت السلطة الحقيقية بيد العثمانيين حتى استطاع محمد بن علي بن أحمد الإدريسي في عام 1328هـ أن يبسط حكمه على تهامة من حدود الحديدة جنوباً حتى القنفذة شمالاً وأن يطرد القوات العثمانية.

كما حاول العثمانيون بسط نفوذهم على المناطق الداخلية من الجزيرة العربية منذ تدخلهم للقضاء على الدولة السعودية الأولى عام 1226هـ إلا أن تلك المحاولات لم تنجح بفرض سيطرة كاملة ومستمرة. وأما المستعمرين الغربيين فلم يكونوا يطمعون بالسيطرة على المناطق الداخلية للجزيرة العربية لأنها بالنسبة لهم ليست سوى صحراء قاحلة ومدنها مجرد قرى صغيرة باستثناء الرياض وبريدة وعنيزة وحائل.

أما الحالة السياسية في نجد قبل عام 1319هـ فقد كان المسيطر عليها غالباً آل رشيد أمراء حائل. فمنذ عام 1251هـ الذي شهد تعيين الإمام فيصل بن تركي عبد الله العلي آل رشيد أميراً على حائل ونجم آل رشيد يعلو بينما بريق نجم آل سعود يخبو. حتى تمكن محمد العبد الله آل رشيد من السيطرة على القصيم بعد معركة المليداء عام 1308هـ وعلى الرياض بعد معركة حريملاء عام 1309هـ. فما كان من الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي الذي كان أمير الرياض حينئذ إلا أن غادرها حاملاً معه أسرته وابنه عبد العزيز الذي كان عمره آنذاك قرابة السبعة عشر عاماً.

أما إمارات الخليج العربي فمعظمها كانت خاضعة للاستعمار البريطاني؛ فعدن ومسقط وساحل عمان والبحرين والكويت كانت جميعها تحت الحماية البريطانية. وأما المناطق المحيطة بالجزيرة العربية من الشمال كالعراق والشام فقد كانت جميعها خاضعة للدولة العثمانية.

**المراجع:**

محمد المانع: توحيد المملكة العربية السعودية، 21-32.

عبد الله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج2، 9-28.